

**واقع ومستقبل الأدب السياسي في العالم العربي:
دراسة في تأثير حركات العولمة على مورفولوجيا المعنى في النص
الأدبي السياسي.**

أ.خديجة بوريب
جامعة جيجل
bourib_khadidja@yahoo.com

مقدمة

يقول أرسطو: " إن المعايير التي تطبق على الشعر، غير التي تطبق على السياسة، وغير التي تطبق على الصنائع الأخرى". وهو بذلك يقر في التمايز بين عدد من الحقول، دون أن ينفي الصلات الناظمة لها على اختلافها، والبحث عن هذه التمايزات والروابط الجامعة مهم وضروري؛ لأنه يسهم في استخلاص الصفات النوعية للظاهرة الأدبية وأبعادها.

وقد فرضت العولمة على الكتاب تغيير توجهاتهم من التركيز على المحلية إلى السعي نحو الانتشار العالمي اعتمادا على الترجمة، فاللغة الأم صارت حاجزا عند الكتاب إن ظلت كتاباتهم لا تصدر إلا بها، وصار عليهم التفكير في الكتابة باللغة الإنجليزية أو ترجمة مؤلفاتهم إلى هذه اللغة وغيرها من اللغات التي يعرفها مئات الملايين من البشر حول العالم في ظل العولمة.

ومن خصائص الأدب السياسي أنه ليس أدب الوقت - أدب أي - يموت بانقضاء الحقبة التي يتحدث عنها، أو يموت المشكلة موضوع هذا الأدب، لأنه أدب حي يعبر عن معاناة الإنسان المسحوق، ويؤرخ فنياً - لحقبة مهمة في تاريخ الشعوب المغلوبة على أمرها، ومن هذا القبيل كان حرص الناس على قراءة المذكرات السياسية والعسكرية. ويمكن إبراز قيمة الموضوع من خلال المنطلقات المعرفية التالية:

-القيمة الفينومونولوجية للموضوع:

تبرز القيمة الفينومونولوجية من خلال التطرق لظاهرة الأدب الرقمي وكيفية التعااطي مع الثورة المعلوماتية في ظل العولمة الاتصالية وموقع الأدب السياسي في ظل شبكات التواصل الاجتماعي الفايبر بوك، تويت من جهة ومن جهة أخرى الحراك السياسي والاجتماعي في المنطقة العربية.

-القيمة الابستيمولوجية للموضوع :

تظهر القيمة الابستيمولوجية للموضوع في إثارتها حوار حول علاقة الأدب بالسياسة في ظل العولمة الاتصالية.

-القيمة الأنطولوجية للموضوع :

تبرز هذه القيمة من خلال تحليل ظاهرة الأدب الرقمي في المجال السياسي وموقع المخيال الأدبي للفرد العربي وسيكولوجيا التلقي لهذا النوع من الأدب، خاصة في إطار سرعة الوصول للمعلومة، وما مدى تأثيرها على المخيال الاجتماعي للمجتمع العربي.

إن ابتعاد الأدب عن المفاهيم السياسية أفرز عالماً سياسياً جافاً جشعاً وغير إنساني، الهدف لديه يبرر الوسيلة. ولا يمكن لأحد أن ينتقد رجل السياسة بأنه لا يمتلك المعرفة الأدبية الكافية بل ولا يهتم بالأدب، لأننا نعتقد بأن الأدب عالم منفرد بذاته بهذا الوجود، عالم يخص فئة ما من البشر، ونكاد لا ندرك أن الأدب هو انعكاس للإنسانية على سطور وحروف الكاتب، وأن الكاتب لا يكتب ما يرى أو يسمع، فكل إنسان يرى ويسمع، ولكن الكاتب يكتب عما يدور في مساحة الفكر والشعور بأبعاد تتجاوز حدود حواس الإنسان العادي، لذلك وحين يكون رجل السياسة رجل أدب أيضاً، فإنه يكون من عظماء رجال السياسة وتدخل مقولاته التاريخ، ويكون مرجعاً أدبياً وسياسياً بنفس الوقت لما لديه من اتساع إنساني استوعب المفاهيم السياسية ومزجها بالمفاهيم الأدبية ليكون أكثر فهماً، أكثر تعاطفاً، أكثر إبداعاً لكل ما يدور من حوله؛ يقول إيليا نور روزفلت: "أحياناً أتساءل، إذا كنا سوف ننضج في سياساتنا بأن نقول أشياء محددة تعي شيئاً حقيقياً، أم أننا سوف نستعمل دائماً عموميات يرضى بها الجميع التي وفي الحقيقة لا تعي سوى القليل".

هذه المقولة البسيطة تلخص صدق رجل سياسة مع ذاته وأنه انطلق من شعور إنساني أدبي بعدم الرضا عن المراوغة وعدم الصدق في السياسة. ويقول ديفيد إيزنهاور: "الشعب الذي يقدر امتيازاته فوق مبادئه ينتهي بأن يجسرهما معاً". وهي مقولة يمكنها أن تكون أدبية أو سياسية وبعمق إنساني وأخلاقي واضح. إن تقليص مساحة الأدب في السياسة خصوصاً في الزمن المعاصر، أنتج شخصيات لا همها سوى مصالحها الخاصة، وحتى لو اهتمت بمصلحة بلدها فهو اهتمام شديد الأناثية والمادية والنفعية تزول أمامه كل الاعتبارات الإنسانية، وهو أخطر ما تقدمه السياسة في زمننا المعاصر،

أصبح رجل السياسة شخصية تثير الخوف والقلق لأنها مجردة من نظرتها الإنسانية للأمور. الأدب ليس صورة بلاغية أو روايات ممتعة، إنه أحد الأدوات المهمة بتطوير الحس الإنساني، سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي، حتى أن السياسة تتقلص مساحتها أمام امتداد إنسانية الأدب وتتحول لموضوع من مواضعه، أما الأدب فلن يكون أبدا ضمن برنامج شخصية سياسية ترشح نفسها لمركز ما، ولكنه سيكون حتما حاضرا بنظرة الناخبين له، لأنهم ينتخبون صفاته الإنسانية وليس مكتسباته المادية. من خلال ما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية: ما هو واقع الأدب السياسي في العالم العربي؟ كيف يمكن بناء دلالة معرفية حول المعنى والعلاقة بين السياسة والأدب في عصر العولمة؟ كيف يمكن استشراف مستقبل الأدب السياسي في العالم العربي في ظل المتغيرات الداخلية والخارجية في عصر العولمة؟.

المحور الأول: العلاقة الديناميكية بين الأدب والسياسة.

طرح تيري إجلتون سؤالا في كتابه مقدمة في نظرية الأدب، هل ثمة علاقة بين السياسة والأدب؟ وحصر الإجابة في تأكيده أن نظرية الأدب الحديثة جزء من التاريخ السياسي والإيديولوجي، وهي مرتبطة بالمعتقدات السياسية والقيم الإيديولوجية. وأهم ما يميز رؤيته هو ذلك الجزم بأن الحديث عن نظرية أدبية تقوم على الجمال الخالص، هو مجرد وهم كبير، وأن كل نقد أدبي هو نقد سياسي، وما طرحه ينم عن توجه للانفتاح على علم السياسة. فهل لدى علم السياسة ما يقترز به من علم الأدب؟ إن الإجابة عن هذا السؤال ينبغي ألا تقتصر على الأبعاد الإيديولوجية للنظرية الأدبية، بل من الضروري أن تمتد إلى بعض القواسم المشتركة بين السياسة والأدب من جهة، والتفاعل بين هذين المفهومين على أرض الواقع من جهة أخرى⁽¹⁾.

و يرى الروائي السويسري "جوتفريد كيلر" بأن كل شيء سياسة ويعلق جورج لوكاتش على هذه المقولة بقوله: "إن الكاتب السويسري الكبير لم يقصد أن كل شيء سياسة تكبله السياسة مباشرة، بل هو يرى على العكس من ذلك كما كان يرى بلزاك وتولستوي أن كل فعل وكل فكر، وكل عاطفة من عواطف الإنسان ترتبط ارتباطا لا ينفصم بالحياة وبصراعات المجتمع، أي ترتبط بالسياسة، وسواء كان البشر أنفسهم واعين بذلك، أم غير واعين به، أم يحاولون الهرب منه فإن أفعالهم وأفكارهم وعواطفهم تنبع على الرغم من ذلك موضوعيا من السياسة وتنصب فيها"⁽²⁾.

و من هنا فإن السياسة تعد محورا فكريا من أهم العناصر التي اعتمد عليها الأدب والرواية على الخصوص إذ أن اقتحام السياسة البارز للأدب أصبح ظاهرة خاصة في أوروبا حيث لعبت دورا هاما في التغيير الاجتماعي والسياسي وكشفت بذور التحول السياسي وقدمت الشخصيات الإيجابية المبشرة بالثورة. يقول يوسف القعيد الروائي المصري حول العلاقة بين الأدب والسياسة " في كل أمر من أمور الدنيا سياسة ومن الصعب تجزئة حياة الإنسان إلى سياسة ولا سياسة، فالشاب الذي لا يمكن أن يتزوج بسبب أزمة السكن يعاني من مشكلة سياسية، في عصرنا نحن نتنفس السياسة ليل نهار"⁽³⁾.

والسياسة كظاهرة من ظواهر الواقع تستأثر باهتمام الفنان الأديب في ظروف معينة وإن كانت تبدو متباينة ظاهريا، فإنها ترتبط فيما بينها بأكثر من صلة ما دام أي تغيير يصيب الواقع ويؤدي إلى إحداث نقلة فيه يعي تحقيق هدف يسعى من أجله الإنسان فيقوم بعملية التغيير السياسي لتشمل كافة الأمور والظواهر الاجتماعية والاقتصادية باعتبارها الجذر الكامن في معادلة التطور الحضاري للمجتمع.

إن علاقة الأدب بالسياسة علاقة جدلية ومتواصلة، طالما وجد الأديب نفسه داخل مجتمع معين، يعبر من خلاله عن دوره وحقوقه ومكانته، ويبحث بشكل دائم عن حريته وإنسانيته. وهذه العلاقة قد تكون نافعة من جانب وضارة من جانب آخر ولكنها وفي جميع الأحوال تفرض نفسها ولا تحتاج إل إثبات بل تحتاج إلى السعي لمعرفة درجة التواصل بين طرفيها أي الأدب والسياسة.

و السؤال الذي يمكن طرحه كذلك هل ثمة مدخل أو اقتراب علمي لدراسة الأدب من منظور سياسي؟، من بين هذه الدائل مدخل القيم ويستند على أن مفهوم القيمة يحمل في طياته ما يجعله عنصرا مهما في حقول معرفية وإنسانية من بينها الأدب، وذلك لأنه مفهوم متعدد المعاني إلى حد بعيد. فالقيم موجودة في مختلف الأشياء في الكون بقدر ما هي موجودة في مختلف الأشياء في الكون بقدر ما هي موجودة في ضمائر الناس وسلوكهم، وهذا الوجود لا يتسم بالوحدانية حتى في داخل المجتمع الواحد، إذ يحدث أحيانا تضارب بين القيم، لاسيما حين تكون بصدد مواجهة صراع سياسي حاد يمر به مجتمع معين في فترة ما. وهذا الفضاء الواسع من المعاني والتجليات الذي

يُحيط بمفهوم القيمة، يجعل من استخدامها مفتوحاً أمام الباحثين في كثير من مجالات المعرفة، فما هي العلاقة النظرية القائمة بينها وبين الأدب؟⁽⁴⁾. إن الإجابة على هذا السؤال تبدو معقدة بمقدار تعقد مفهومي الأدب والقيم، لكن بوجه عام يمكن رصد سمات مشتركة تجمع هذين المفهومين أبرزها⁽⁵⁾:

- جوهر القيمة تعد جزءاً من علم الجمال والأخلاق والفلسفة والسياسة، وهذه الحقول مفتوحة على الأدب، حيث أن الإبداع الأدبي يصور عدة أبعاد منها الجمالي والوجداني، الثقافي والاجتماعي، وهي تتماس مع الجوانب السياسية.

- قيمة الشيء تعتمد على الذات المدركة له لا على صفته، فالحكم القيمي تعبير عن انفعال المتكلم حيال شيء ما، والأدب كذلك لا يخلو من العنصر الذاتي المعتمد على خيال المبدع وخصوصية حالة الإبداع نفسها. يرى الفكر المثالي أن القيمة قد انفصلت عن الواقع الذي نشأت فيه، وتشكلت كمفاهيم مجردة، مثل الحق والخير والجمال والسعادة، وصارت قيماً علياً يقاس عليها سلوك الإنسان لمعرفة ما إذا كان سلوكاً حسناً أم العكس. وينطبق هذا الأمر على الروائع الأدبية التي تنفصل هي الأخرى عن الظروف التي أوجدتها.

- و على المستوى العملي، يلاحظ أن اللغة الأدبية حاضرة في شدة في عملية صناعة القيم، وتبعاً لهذا فإن وجود علاقة ما بين الأدب والسياسة، ووجود سمات مشتركة بين القيم والأدب، يفسحان الطريق أمام التصدي لإمكانية أن تكون القيم السياسية مدخلاً لدراسة النص الأدبي من منظور سياسي.

و السؤال الذي يطرح هو كيف يمكن أن تكون القيم السياسية مخرجا لدراسة الأدب من منظور سياسي؟ إن القيم السياسية تتقاطع مع مفاهيم وقضايا تقع في صميم العمل الأدبي، مثل البحث عن المثاليات والانتصار أحياناً للأخلاقيات، وتقديم تصور فلسفي جمالي للحياة الإنسانية ينتقد بصورة مباشرة أو غير مباشرة الواقع الذي تفرضه السياسة، ويطرح رؤى أفضل إنسانياً واجتماعياً وهذا التقاطع يسمح للقيم السياسية بأن تكون مدخلاً إلى أعماق الأعمال الأدبية.

إن علاقة الأديب بالسياسة تتأرجح بين طرفي معادلة⁽⁶⁾:

-المعادلة الأولى: عندما يكون هم الكاتب توصيل رسالة سياسية بصورة فجة ومكشوفة.

- المعادلة الثانية فهي تنطلق من فهم الكاتب لعمله الأدبي على أنه ممارسة لغوية أساسا من هنا كان لابد من التفريق بين الكاتب من حيث هو ذات إنسانية تقدم موقفا سياسيا من العالم في حين يقدم عمله الأدبي موقفا أدبيا له أثر سياسي، هذا الأثر لا يتطابق مع موقف الكاتب السياسي إلا عندما يحقق التوازن بين مفهومه للعالم وبنائه الفني.

و عليه فإن الكتابة الأدبية لا تعطي أثارا صحيحة في حقل السياسة إلا عندما تنهض أصلا على سياسة صحيحة أما إذا شابها زيف وتهافت ذهب المنظور العام الذي يحمل الكتابة والسياسة، ولا يكون الأدب سياسيا بالمعنى المطلوب والمبنى المرغوب، إلا حين تصبح المادة الفكرية سياسية كانت أو غير ذلك) عنصرا تكوينيا في الأدب، إذا حذفت اختل النص وفقد كيانه -بإضافة- عنصر الرؤيا: اقتراح عالم أفضل يتحقق في مستقبل غير منظور، أو التحذير من مستقبل مظلم قادم.و إذا كان تناقض الكاتب والسياسي لا يعي استحالة العلاقة بينهما، فما هي العلاقة الصحيحة بين الكتابة والسياسة؟

إن تحديد هذه العلاقة هو الشرط الأساسي لنجاحهما وعليه لابد من الوصول إلى معادلة جديدة غير التي حكمت العمل بحيث يكون تأكيد التمايز بين المعيار العلمي للمعرفة، والمعيار البرجماتي للسياسة، وحين تستقيم العلاقة بين الكتابة والسياسة يصبح دور الكتابة هو الاقتراب من أسئلة السياسة ويصبح دور السياسة هو تصحيح إجابات الكتابة، تصحيحا لا تفرضه أوامر السياسة.و حينها يتوارى الصراع السياسي والثقافي ولو إلى حين والالتكاء على التصحيح لإنتاج معرفة تبدأ وتراعي ظروف المجتمع وروح العصر وتشارك في وحدة المشروع السياسي-الثقافي حيث ينتهي التعارض بين الإبداع والسياسة وينفي التعارض بين العمل اليدوي والذهني، هذه نظرية طوباوية ولكنها جديرة بالتفكير، فمهما كان حجم الوهم أو اليقين، تظل الثورة الاجتماعية هي الحقل الوحيد الذي يسمح بإبداع الكتابة وإعطاء القراءة نوعا من الثورة لإعادة التنقيف الكاتب والقارئ ولم لا السياسي، وهذه غاية كل فن-أدب- ذلك الذي يظل مرتبطا ارتباطا وثيقا بروح عصره، ومعبرا بشكل دقيق عن أهم مشكلات الواقع ويبرهن تاريخ الفن أن أعظم الأعمال الفنية روعة وجمالية وأداء كانت ذات مضامين سياسية إيديولوجية⁽⁷⁾.

المحور الثاني: واقع ومستقبل الأدب السياسي في العالم العربي في ظل**العولمة الاتصالية.****أولاً: العولمة الاتصالية: المفهوم والدلالات المعرفية والعملياتية.**

تشير العولمة إلى مجموعة من السيرورات المؤدية إلى مجتمع عالمي واحد مجتمع كوكبي وهذه السيرورات تشكل عولمات كثيرة، وهكذا فإن هناك في العلوم الاجتماعية عددا من التصورات النظرية للعولمة يوازي عدد المدارس والاجتهادات، ففي الاقتصاد تشير العولمة إلى التمويل الاقتصادي وانتشار علاقات السوق الرأسمالية، أما في العلاقات الدولية فيكون التركيز على الكثافة المتزايدة للعلاقات الدولية في ما بين الدول وتطور السياسة الكوكبية، في السوسيولوجيا يكون الاهتمام منصبا على الكثافات الاجتماعية العالمية المتزايدة وصولا إلى بروز مجتمع عالمي، أما في الدراسات الثقافية فنجد أن التركيز متجه نحو الاتصالات الكوكبية والتنميط الثقافي الشامل للعالم فضلا عن التركيز على ثقافة ما بعد الاستعمار، وفي التاريخ ينصب الاهتمام على دراسة أساس نظري لنوع من التاريخ العالمي⁽⁸⁾.

إن مفهوم العولمات يتمظهر من خلال الزمان والمكان وكذا من حيث الماهية والموضوع وبالتالي لا يمكن فهم العولمة بشكل أحادي، سواء أكان ذلك من زاوية اقتصادية أم سياسية، اجتماعية، أم ثقافية وليس من الضروري تزامن عولمة هذه المجالات إذ يمكن أن تسبق عولمة مجال معين عولمة المجالات الأخرى، كما انه من جهة أخرى فقد أثبت تاريخ العلاقات الدولية أن هناك عولمات كثيرة لكنها لم تكن بارزة بالشكل الذي برزت به العولمة الحالية، كانت متضمنة بصورة واضحة في مفاهيم أخرى تم إمطاة اللبس عنها مع التغيرات الكبيرة التي حدثت. من جهة أخرى فإن تناول العولمة بصيغة الجمع أي باعتبارها عولمات تشمل عددا من العمليات الاجتماعية والسياسية ليست مجرد آلية ذات إجراء واحد، فالعولمة كمتغير يمكن أن تغطي عددا غير محدود من أوجه الحياة الاجتماعية ويمكن أن يتعدى مداها التعدد القاري إلى الكون بأكمله، كما أنه من الممكن أن تحركها آليات مختلفة فهي عمليات متعددة الأشكال وباختصار فإن المفهوم يشير إلى تعددية العمليات الاجتماعية.

فحسب جوران توربون فإن هناك ست موجات تاريخية للعولمة: انتشار الأديان، الغزوات الاستعمارية الأوروبية، صراعات قوى أوروبية داخلية خالصة، ما بعد الحرب العالمية الثانية والآليات السياسية للحرب الباردة، آليات

العولمة المالية والثقافية. هذه الموجات تقضي إلى تعدد أشكال العولمة وصورها وبالتعبية تعدد المقاربات النظرية بين مقارنة تركب على الجوانب الاقتصادية وتعلها طاغية على الجوانب الأخرى وبين مقارنة مركزة على الجوانب السياسية والثقافية وغيرها، ومحمل هذه المقاربات على حد تعبیر برتران بادي التقت في فكرة "الفاعل" ومجاهلت "النسق" رغم أن العولمة هي ملك لنسق أو لنظام أو لإطار يحدد مجال حركة الفواعل سواء كانت الفواعل فردا في سلوكياته اليومية أو دولة⁽⁹⁾.

أما العولمة الاتصالية مصطلح يطلق على المنظومة الاتصالية العالمية والثورة الحاصلة بقلب وسائل الإعلام والاتصال، هذه الشبكة الاتصالية المكثفة عرفت تناميا ملحوظا منذ بداية سنوات التسعينات: تكنولوجيا ثلاثية الأبعاد والافتراضية أدت لاتساع القاعدة التحتية لوسائل الإعلام المرئية والمكتوبة والمسؤولة عن نقل المعلومة؛ حيث أدت الثورة المعلوماتية إلى تعزيز الوعي بالقضايا السياسية، الاقتصادية والمجتمعية داخل المجتمعات، فالمواطن العربي حاليا أصبح على اتصال دائم بالساحة السياسية بفضل القوة النسبية التي منحتها إياه الثورة المعلوماتية، فمحدودية أو عدم استقلالية وسائل الإعلام بمرحلة سابقة جعلته غائبا عن ساحة الحدث لمدة طويلة، حاليا أصبح هذا الفرد على إطلاع دائم بالإصلاحات الدستورية والاقتصادية والقوانين الداخلية وهذا ما يرفع بدوره من درجة فعاليته داخل المجتمع ويشجع على الحركية الإيجابية للقوى البنيوية التحتية، فقد ظل الفرد في المجتمعات العربية طيلة فترة طويلة آلة ووسيلة لخدمة الأهداف السياسية والشخصية للنخب الحاكمة، حتى إن مسارات المؤسسة عجزت في بعض الحالات عن إعادة تنظيم العلاقات الداخلية للعقد الاجتماعي لان القطاعات الشعبية لا تقوم بوظيفتها فغياب المعلومة والوعي جرد المجتمع المدني من وظيفته⁽¹⁰⁾.

إن الثورة المعلوماتية لا تسمح فقط برفع درجة الوعي لدى الأفراد بل تؤدي لتحسين الأداء الداخلي للأفراد فيما يتعلق بالقضايا الداخلية وحتى التاريخية والأدبية، وقد ساهمت ثورة المعلومات بتقوية الروابط الأفقية والتصادمات التحتية على أساس ديني عرقي، مصالح أو سياسي سواء داخل الدول أو عبر المجتمعات، فالمعلومة قد كسرت الحواجز المادية بين الشعوب وأعدت صياغة وترقية المخيال الاجتماعي لدى الأفراد، فالطبيعة العمودية

على المستوى الدولي أو الوطني والتي سمحت باحتكار نخب حاكمة وفواعل سياسية لمسار اتخاذ القرار تعود لقدرتهم على ترسيخ نموذج تربية سائد عبر المؤسسات التربوية والآلة البيروقراطية الدولالية، والذي بدوره سمح بترسيخ نسق عقيدي بين القطاعات الشعبية تحول تدريجيا لمنطلق للاستجابات وردود الأفعال اتجاه قضايا مختلفة.

والثورة المعلوماتية أدت إلى بناء بنى معرفية جديدة وبالتالي تعزيز العلاقات الأفقية على حساب الانقسامات الإثنية والجهوية والسياسية داخل المجتمعات أو الانقسام شمال-جنوب على المستوى العالمي عبر الفايس بوك، تويتر، إذ أصبح من السهل تنظيم احتجاجات شاملة مكثفة، بأن واحد، وربما من أحد مظاهر هذا التغير هو سلسلة فضائح الفساد للنخبة السياسية في العديد من الدول التي تحاول شرعنة نفسها في مواجهة تنامي القوة الموازية عبر القضاء على الخصوم، بصيغة أخرى بقدر ما تتعاضد هذه التنظيمات الأفقية ويتحسن أداؤها تتفكك الائتلافات المصلحية المتواجدة بالسلطة.

(11)

ثانياً: واقع الأدب السياسي في العالم العربي في ظل الحراك السياسي

والاجتماعي في المنطقة العربية:

الأدب السياسي في العالم العربي ظهر كرد فعل لموجات الاستعمار وحمالاته على البلاد العربية في بداية القرن الماضي، كما جاء مساندا لجهود النضال ضد المستعمر في الأربعينيات والخمسينيات، ثم استمر تطور هذا الأدب خلال الستينيات وظهور الحداثة وما بعد الحداثة، ثم موجة الحراك السياسي والاجتماعي في المنطقة العربية مؤخراً.

إن الأدب السياسي هو الأدب الذي يشترك مع القضايا السياسية التي تهتم بالحالة العامة في أي مجتمع، كقضايا الحرية وحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية والحياة التشريعية وسيادة دولة القانون، ويكون ذلك من خلال معالجة أدبية لهذه القضايا من خلال إطار اجتماعي وعلى لسان الشخصيات التي تظهر في العمل الأدبي، سواء كان هذا العمل الأدبي في شكل قصصي أو في شكل شعر أو رواية. بدأ الأدب السياسي مع فترات الاستعمار، وفي مصر بدأ مع الحملة الفرنسية عام 1798 ثم بدأ في التكون بصورته التي عرفت بعد ذلك مع الاحتلال الإنجليزي، كان وقتها أدبا سياسيا يتمثل مضمونه في الانتقادات الموجهة للملك والحكم والأحزاب والفرق السياسية، واستمر تطور حركة

الأدب السياسي حتى الستينات، عندما أثر انكسار الثورة وتراجع حلم القومية العربية على إبداع الأدباء في هذه الفترة⁽¹²⁾.

وسوف ندرج خصائص الأدب السياسي في مرحلة الثورات أو الحراك السياسي والاجتماعي في العالم العربي كما يلي:⁽¹³⁾

1- الحراك الثوري موضوعا: حظيت الأحداث المتتالية التي شهدتها العالم العربي في خضم ما اصطلح عليه بالربيع العربي انطلاقا من تونس إلى مصر واليمن وليبيا وسوريا بنصيب هام من الأعمال الأدبية من قصائد وروايات وما ظهر منها يرسخ ملاحظات عديدة للتوجه السائد لهذه الأعمال هو مناصرة البعد الثوري فيها وهي محاولة من الأدباء لتخليد الثورة والالتحاق بركبها.

و المتأمل في اغلب أعمال هذه المرحلة وخصوصا الدفعة الأولى منها يرى ارتباطا وثيقا بين هذا الأدب وهذه الأحداث ففي الشعر تدور القصائد الشعرية حول رموز معاصرة تكاد تتردد مع تفاوت وخصوصا محمد البوعزيزي وسيدي بوزيد وطبعا معاني مدن الفقر والعذاب والحرية والنضال والبطولة وإن كان التعامل مع الرمزين قد خفت مؤخرا لتداخلات وصراعات مختلفة.

2- الاسترجاع ومحاكمة الماضي: في الرواية فاغلب المحاولات الروائية التي اطلعت عليها اهتمت بالماضي المكبوت مثل السجون والمعتقلات وذاكرة سنوات الحكم الفارط.

3- ضبابية الايديولوجيا: تسقط هذه الأعمال النظريات الايديولوجية القديمة وتصنف كلها كأنها ضمن إيديولوجيا الثورة فهي إيديولوجيا متناغمة موحدة فيها العلماني والإسلامي والفقير والنخبوي، ولعل مشاركة كتاب من مشارب مختلفة تؤكد هذا ولم تفرز الأدبيات الحالية أية منهج أدبي مخصوص لإيديولوجيا معينة رغم اختلاف الأفكار فثمة اندماج حذر بين مختلف الأفكار.

4- الإفراج عن الأدب السياسي الملتزم: فلقد ظل الأدب الملتزم والمتمسك بقضايا محاصرا ومعزولا ومنحصرا عند أقلية من النخب فيما كان الأغلبية يتهربون منه ويرفضونه نشره لأسباب سياسية ويكثرون من تلفيق آليات نقدية لحاصرته. نفس هؤلاء الذين حاصروه فتحوا له الآن الأحضان

وهذا يفسر بروز جملة من الأعمال تسيطر عليها حماسة ما قبل الإطاحة بالنظام وهي المرحلة التي مازالت كتابتها لم تكتمل بعد.

5- استرجاع المضامين القديمة للأدب الثوري العربي وإتباع المنهج التقليدي للعرب في كل الثورات والتحركات والانقلابات، فثمة زعماء يدحون باعتبارهم رمز الحرية والتحرر وآخرون يعتبرون ماضيا سحيقا ورمزا للاستبداد والجور والظلم فبمثل ما هتف القدامى هتف أدياء اليوم، هي جدلية تتكرر وبالتالي فثمة استعادة للصراع الثنائي بين الجور والاستبداد والضحايا من جهة ثانية.

6- من الاحتفاء إلى المجادلة والمساءلة: ولكن ما كتب من أدب عن الحراك السياسي الاجتماعي لم يكن كله استبشارا وابتهاجا حيث لاحت كتابات منتقدة له وللمشهد الثوري العربي الجديد من جوانب مختلفة فلم يكن الجميع على نفس الاتفاق فبقدر ما حظي الحراك بالمدح بقدر ما طرحت حوله أسئلة وشكوك.

ثالثا: تأثير حركات العولمة الاتصالية في مورفولوجية النص الأدبي

السياسي في العالم العربي: أثر الثورة الرقمية وبروز الأدب الرقمي .

لقد كتبت العديد من الدراسات حول مفهوم النص ولا يسع المجال هنا لمقاربة هذا المفهوم في شموليته ولذلك سنحاول ملامسة تعريفه المتداول، البراغماتي - الذي سيمكننا من تحديد ماهيته. يقول رولان بارت : " ما معنى نص أدبي في التعريف العام ؟ إنها المساحة الظاهرة لعمل أدبي .. إنه نسيج الكلمات التي يتشكل منها المتن الأدبي". إن هذا التعريف البارتي يؤكد بشكل قطعي على أن وسيط النص هو ذو طبيعة لغوية وأن وحدة قاعدته هي الكلمة .

إن مولدات النص التركيبية أو الأوتوماتيكية والنصية المترابطة والخيال النصي والتنويعات النحوية كلها تحتوي على نصوص تستجيب لهذا التعريف البارتي. وخلافا لكل ما سبق يبدو هذا التعريف غير مطابق في حالة تشخيص خاصيات جل القصائد المتحركة (Poèmes animés) مثلا القصائد الرقمية أو المطبوعات المتحركة وأيضا بالنسبة للأعمال التفاعلية، فهل من الحكمة الأدبية حشر هذه الأجناس الأدبية الرقمية في خانة التعريف البارتي السابق ؟ ثم ألا نخاطر بإقدامنا على اختراع مفهوم جديد مثلما اخترعنا مفهوم الإبرميديا بكل سهولة ؟ لماذا نطرح هذا التساؤل، لأن

التعريف البراغماتي الكلاسيكي للنص الذي وظف ضمن مفهوم النص المترابط قد كان تعريفا ضيقا وأكثر محدودية⁽¹⁴⁾.

إن محاولة تحديد مفهوم للأدب الإلكتروني تجعلنا نناقش مختلف المفاهيم التي تقدم لضبط مصطلح هذا النوع الجديد من الأدب وفي الوقت نفسه تتساءل عن المميزات التي جعلت من هذا الأدب يختلف عن الأدب التقليدي الورقي المطبوع، لدرجة جعلته يصنف بالنوع أو الجنس الجديد، فكيف يا ترى يتجلى هذا الأدب؟ وقبل ذلك نجد بنا الإشارة إلى أن الاختلاف في المفاهيم يعود إلى اللبس الذي يشوبها بعض الشيء وذلك راجع إلى كون المصطلح ما يزال رجوحا غير مؤطر تماما إذ أنه مازال في طوره البكر تتجاذبه الرؤى والآراء على حد سواء في التجربة العربية أو في التجريبتين الأمريكية والأوروبية، ومن ثمة تعددت مسمياته التي نجد كالاتي: (إلكتروني، رقمي، تفاعلي، مترابط معلوماتي، تشعي، افتراضي)، ففي أمريكا يتم استعمال مصطلح النص المترابط *hypertext* وفي أوروبا يتم توظيف مصطلحي الرقمي *numérique* والتفاعلي *interactif*، أما في الفرنسية فابتدئ باستعمال مصطلح الأدب المعلوماتي (*littérature informatique*) باعتباره الجامع لمختلف الممارسات التي تحققت من خلال علاقة الأدب بالحاسوب والمعلومات وعليه فقد تم عقد مؤتمر بباريس سنة 1994 تحت عنوان "الأدب والمعلومات" لدراسة هذه العلاقة ومحاولة التنظير لها ليظهر فيما بعد وبالضبط سنة 2006 مصطلح جديد نجد في مجلة *formule* الفرنسية في عددها العاشر محورا خاصا عن الأدب والمعلومات بعنوان "الأدب الرقمي" *littérature numérique*، وبين هذين المصطلحين المعلوماتي والرقمي نجد مصطلحات سبق وأن أشرنا إليها قد استعملت للدلالة على هذا النوع الجديد من الأدب وفي الحقيقة إن في تسمية كل مصطلح من هذه المصطلحات تشديدا على مظهر من مظاهر هذا الأدب أو على سمة توجه المصطلح وتحده، فالأدب الإلكتروني (*littérature électronique*) يركز على شكل النص الإلكتروني الجديد وتكنولوجيا المعلومات من اشتغال الوحدة المركزية ومحمل العتاد المصاحب ذي التقنية المعلوماتية وإلى أسلوب النشر الإلكتروني على اعتبار أنه يقدم عبر الوسيط الإلكتروني - الحاسوب - أما مصطلح الأدب الرقمي (*littérature numérique*) والذي يستعمل في المدرستين الفرنسية والإنجليزية، ووصفه بالرقمي يعود إلى أن الرقمية هي الطريقة الجديدة في عرض الأدب من خلال

النظام الرقمي الثنائي (1/0) والذي يقوم عليه جهاز الحاسوب، أما المترابط : hypertext يركز على تقنية الترابط التي تنظم النص الأدبي بناء على ما تقدمه المعلومات من روابط يجمع بينها متيحا بذلك للمستعمل أو المتلقي الانتقال من نص إلى آخر حسب حاجته .

إن أهم مظهر يعين طبيعة هذا الأدب باعتباره حالة تطويرية لمسار الأدب هو علاقته بالوسيط التكنولوجي، الذي يغيّر مادته اللغوية. فإذا كانت اللغة المعجمية هي الأساس في تجربة النص الأدبي، فإن موقعها في النص الرقمي يتغير، وتصبح اللغة المعلوماتية ذات وجود جوهري في إنجاز النص الرقمي. النص الرقمي بتحقيقه فهو يحقق اختلافات جوهريّة في إنجاز النص الأدبي بدءاً من شاشة الكومبيوتر إلى البرامج المعلوماتية إلى مكونات الإنتاج التي تؤدي إلى تغيير في مفاهيم منتج النص (المؤلف) وقارئه ولغته ونظامه، وكذا الحالة الأجناسية للنص نفسه.

فكل شئ يتغير في نظام النص الرقمي لأن الوسائط مختلفة، وبالتالي فإن نظام البناء يؤسس لشكل أدبي مغاير، تبعاً لطبيعة اللغة الجديدة والتي تأتي بلغة المعلومات وتنجز مساحة مفتوحة للنص، معها يتحرر القارئ من التعاقد المألوف في الكتاب الورقي (بداية ونهاية)، فالقارئ عبر تقنية الرابط يمتلك سلطة تدبير النص، من خلال خياراته في تشغيل الروابط أو تركها، أو التعامل مع بعضها فقط. تنتج هذه الوضعية الجديدة للقارئ مفهوماً جديداً للنص الأدبي الذي لا يوجد إلا من خلال القراءة المختارة (وليس المنتهية)، لأن في الأدب الرقمي ليس هناك قراءة منتهية، فكل قراءة مفتوحة على أخرى حسب مزاج القارئ وقدرته على الترحال بين الروابط، ولهذا، فحتى مفهوم منتج النص يتغير.

ويمكن القول بأن النص الرقمي هو امتداد لتجربة التجريب في النص الأدبي الحديث خاصة السردي حيث تتلاشى الحكاية ويصبح للقارئ الدور الأهم في إعادة بناء الحكاية من جديد. الأدب الرقمي لا يخرج عن حالات تطور الأدب المكتوب ورقياً، ولهذا فوعينا به لا يجب أن يتم في إطار اقتطاعه من تاريخ الأدب الحديث، والتعامل معه على أساس أنه ظاهرة بدون ذاكرة ثقافية⁽¹⁵⁾.

-شبكات التواصل الاجتماعي وأدب الثورات العربية(الحراك السياسي والاجتماعي في المنطقة العربية):

تمتاز شبكات التواصل الاجتماعية بخاصية غير قابلة للمقاومة هي "خاصية التفاعل الآني" مع المحيط الواسع للمستخدمين في شتى بقاع العالم بجنسياتهم وثقافتهم المختلفة، حيث توفر هذه الشبكات للمتصفح إمكانية التفاعل مع عدد لا متناهي من المستخدمين والفئات والمجموعات والمواقع، (49 مليون عربي مستخدم للفايس بوك مقابل مليوني مستعمل لتويتر سنة 2013)، كما أنها توفر أيضا آليات رائدة لهذا التفاعل قد ترقى إلى مستوى "لغة جديدة للتواصل"، وهي بذلك تلائم كسل المستهلك الحديث، فالمتصفح مثلا بدل أن يكتب تعلقا على محتوى معين على "الفايس بوك" أو "تويتر" يمكنه الاستعانة بوسائل توفرها هذه الشبكات تسهل عليه هذه العملية، فبدل أن تكتب يمكن أن تكبس على أيقونة "أحب" أو "لا أحب" كما يمكن أن تشارك صاحب المحتوى بنقله على صفحتك أو إلحاقه تعليقا على محتوى وسائطي آخر (صورة أو فيديو قصير مثلا). لقد أثرت هذه الشبكات بشكل كبير في الأوساط الثقافية إذ يمكن أن نجد الآن في أهم المراجع العلمية والأكاديمية إحالات على مواقع التواصل الاجتماعي.⁽¹⁶⁾

و قد تم طرح تساؤل هل من الممكن أن نسلم بأن أدبا ما بصدد التشكل أو تشكلت ملامح له على حيطان "الفايس بوك"؟ تم طرح هذا السؤال من طرف صلاح بن عياد وتم لفت النظر إلى هذا الموقع الاجتماعي أصبح جامعا لكل الشرائح البشرية على اختلافاتها، بمن في ذلك الكتاب والشعراء وغيرهم من ممارسي مهنة الكتابة الذين لم يتأخروا عن استغلاله كقناة مفتوحة تجمعهم بقراء وكتاب آخرين، ولاسيما بعد الثقة التي تكونت لدى الكثيرين على إثر قيادة الفايس بوك لما يسمى بالثورات العربية. و أضاف تعتبر صفحة الكاتب على الفايس بوك صفحة عملية إذ تلعب دورا دعائيا بلا نظير لمنتوجه، ففيها يتاح له الالتقاء بلا صعوبة تذكر بقراء وكتاب وناشرين. فعلى الفايس بوك يصبح الكاتب أكثر حضورا ونشاطا مما هو عليه في مواقع اجتماعية أخرى عبر سرعة الالتقاء، وعليه يلمس حميمية وجدوى أكبر، بل ومساحة أكبر لاحتواء أفكاره، ففيه يمكن أن يمارس ما يشبه كتابة السيرة اليومية، وأن يورد مختلف مواقفه في جمل قصيرة متقطعة لا تمتلك رابطا حقيقيا بينها وبين التي تلحقها أو تسبقها، وهو ما أصطلح عليه ب"أدب البروفائل"⁽¹⁷⁾.

وتعتبر الثورة من بين الموضوعات الهامة التي أحدثت تصورا جديدا في مفهوم الأدب، حتى أنها اتخذت مجالا خاصا بها في صميم هذا المفهوم (أدب الثورة)، وبرزت في هذا السياق أعمال وأشكال أدبية جديدة اعتمدت على التدوين وعلى كتابات أدبية غير مُعتادة أنشأتها مجموعات من الشباب على مواقع التواصل الاجتماعي مثل "الفيسبوك" و"التويتز" ورسائل الهاتف النقال، ذات لغة استنكرها الكثيرون وتهكموا عليها، وأثارت جدلا كبيرا حول مدى التزامها بالمعايير الفنية التقليدية للكتابة، وطبيعة استخدامها للغة، أو نوع الموضوعات التي تعمل عليها، ومقدار تداخل الذاتي فيها بالعام أو انسحابها منه، لكن رغم بساطة هذه اللغة واستهجان الناس إلا أنها وحدها كانت قادرة على حشد وتهيئة الشعوب لفعل الثورة وتغيير مسار التاريخ.

إن لغة التواصل الجديدة في وسائط الانترنت هي جزء من المادة الخام للأشكال الأدبية، وكذلك طبيعة التغيرات في البنية السياسية والاجتماعية وحتى الثقافية في المجتمع العربي، ومواقع الناس داخل مجتمعاتهم وعلاقتهم بالسلطة، ضمن هذا الإطار الجديد والتغيرات التي أحدثتها الثورات، ستحدد العناصر المهمة في الكتابة الأدبية في المراحل الحالية والقادمة، ومن خلالها سيبرز الموقع الشخصي للكاتب وطبيعة الموضوعات التي يتطرق إليها في الأشكال الأدبية التي سيخوض غمار كتابتها، وهي التي ستحدد هويته في الكتابة. (18)

رابعا: مستقبل الأدب السياسي في العالم العربي في ظل العولمة

الاتصالية وموجة الأدب الرقمي:

بصفة عامة يمكن القول أن مستقبل الأدب السياسي هو جزء لا يتجزأ من الأدب ككل، ثمّة من يرى أن المستقبل سيكون لهذا الأدب الناشئ الذي يسمى بالأدب الرقمي، والذي لازال اليوم حبيس الجامعات ونخبة صغيرة من النقاد والمبدعين. إذا صح هذا الطرح، فمما يدعو إلى التأمل في هذا الصدد السيناريوهات الثلاث التي يقدمها البعض لهذا الأدب، فالسيناريو الأول هو أن يكون أدبا رقميا تفاعليا على غرار ما نرى اليوم في النصوص الشعبية والشعر المتحرك والأدبين التوليدي والتوليقي، والسيناريو الثاني أن يكون أدب التجهيزات، أما السيناريو الثالث هو اقتراب الأدب من السينما، بمعنى أن تأخذ الرواية ما يشبه شريطا سينمائيا، لكن مع تجاوز الخاصية الجوهرية للفيلم

السينمائي الراهن، على الأقل، وهي خاصيتي الخطية، حيث يضطر المشاهد إلى مشاهدة الشريط من البداية حتى النهاية، وخاصية أحادية البث، إذ يتوجه الشريط من جهاز واحد أو حامل واحد إلى الجميع.

والخاصيتان السابقتان قد تعوضان بالتفاعل، تماما على غرار ما يحصل مع بعض النصوص التشعبية الرقمي بتعبير آخر، قد تعود الرواية بقوة، ويستعيد الروائي سلطته الرمزية، وربما مردودية مادية أقوى، لكن سبيل الوصول لن يكون هو تحرير نص أدبي وحده، على غرار ما هو قائم اليوم، مع الأدب الورقي، بل إلى جانب تحرير النص، سيكون الأديب محتاجا لولوج عالم الصناعة الإبداعية، فيضطر للبحث عن فريق موسيقي وطاقم تصوير وكاتب معلوماتية، وكل ذلك يتأتى بسهولة للجميع، على غرار ما لا يتأتى للجميع اليوم ولوج عالم النجومية في الغناء والتمثيل⁽¹⁹⁾

الخاتمة:

ما يمكن استخلاصه أن الاختلافات الحاصلة في مسألة بناء وتأسيس إطار مفاهيمي واضح حول العلاقة بين الأدب والسياسة على المستوى الإيستيمولوجي، قدمت عدم تجانس التحليلات حول طبيعة ومورفولوجية الظاهرة السياسية المعقدة، ما أدى إلى إنتاج بنائات فكرية تنبؤية حول مستقبل الظاهرة السياسية وأثرها على الحركة الأدبية في ظل العولمة الاتصالية وبروز الأدب الرقمي. وهذا تم طرح جدلية عميقة جدا تتمثل في كيفية تكييف النص الأدبي مع الوقائع السياسية خاصة في ظل الحراك السياسي والاجتماعي في المنطقة العربية، النص الأدبي في العالم العربي أخذ غمطا ومسارا جديدا لطرح قضايا الثورة وبالتالي يمكن رصد ثلاث متغيرات أساسية في الأدب السياسي: الثورة المعلوماتية، الثورة الاجتماعية والسياسية، والثورة في الأدب في حد ذاته وهذا ما سيشكل تحدي جديد للطبيعة التي سيكون بها النص الأدبي السياسي في الوضع الراهن وفي المستقبل. والسؤال الذي يطرح هو هل سيسيطر أدب الثورة كأدب سياسي في ظل الأدب الرقمي على حركية الإبداع والنقد الأدبي في الوضع الحالي والمستقبل؟

الهوامش:

- (1) - هدى قزق، الأدب والسياسة بين الائتلاف والاختلاف. في الموقع:
http://arabvoice.com/29789/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AF%D8%A8.html.
- (2) - جورج لوكاتش، دراسات في الواقعية الأوروبية. تر: أمير اسكندر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973، ص 31، 30.
- (3) - صالح سليمان عبد العظيم، سوسيولوجيا الرواية السياسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص 193، 192.
- (4) - هدى قزق، مرجع سبق ذكره.
- (5) - نفس المرجع.
- (6) - علي منصور، البطل السجين السياسي في الرواية العربية المعاصرة. أطروحة دكتوراه 2007-2008، جامعة باتنة، ص 40.
- (7) - نفس المرجع، ص 42.
- (8) - مايكل هارديت، أنطونيو نيغري، الإمبراطورية: إمبراطورية العولمة الجديدة. تر: فاضل جتكر، الرياض، مكتبة العبيكان، 2002، ص 189.
- (9) - جوران توربون، العولمة: الأبعاد، الموجات التاريخية، المؤثرات الإقليمية، وتوجيه الحكم المعياري. تر: بدر الرفاعي، مجلة الثقافة العالمية، العدد 106، الكويت، ماي، 2001، ص 13.
- (10) - Stearns Peter N., Globalization In World History , UK :Routledge , 2010,p50.
- (11) - Held David, & Anthony Mc Grew , A Globalizing World ?Culture , Economics , Politics , Second edition , London : Routledge, 2004.p 65.
- (12) - الأدب السياسي والبحث عن متنفس على الورق. في الموقع:
http://www.albayan.ae/paths/art/2011-06-05-1.1450268
- رياض خليف، أدب الثورات العربية بين الاحتفاء والبخس النقدي (2): خصوصيات الأدب الثوري الراهن. في الموقع:
http://www.alchourouk.com/19000/674/1/%D8%A3%D8%AF%D8%A8-F%D9%8A-(2):.html
- (14) - بيير بوتز، ما مفهوم النص في الأدب الرقمي؟. ترجمة: عبده حقي. في الموقع:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=124198
- (15) - زهور كرام، الأدب الرقمي حقيقة أدبية تميز العصر التكنولوجي. في الموقع:
http://cahiersdifference.over-blog.net/article-46125368.html
- (16) - محمد بوهرو، شبكات التواصل الاجتماعية: ثورة الأدب الخفيف. في الموقع:
http://aljasraculture.com/?p=1611
- (17) - عبد اللطيف الوراري، سؤال الأدب اليوم في ظل الثورة الرقمية. في الموقع:
http://www.imezran.org/mountada/viewtopic.php?t=4537
- (18) - مينة حمدي، فايس بوك وتويتر يقودان الثورات الأدبية. في الموقع:
http://www.middle-east-online.com/?id=121585
- (19) - محمد أسليم، مستقبل الأدب في ظل الثورة الرقمية. في الموقع:
http://www.m-aslim.net/site/articles.php?action=view&id=117